العرب
الإثنين 2020/08/17
السنة 43 العدد 11792

حسن نصرالله... الواقع والأرقام

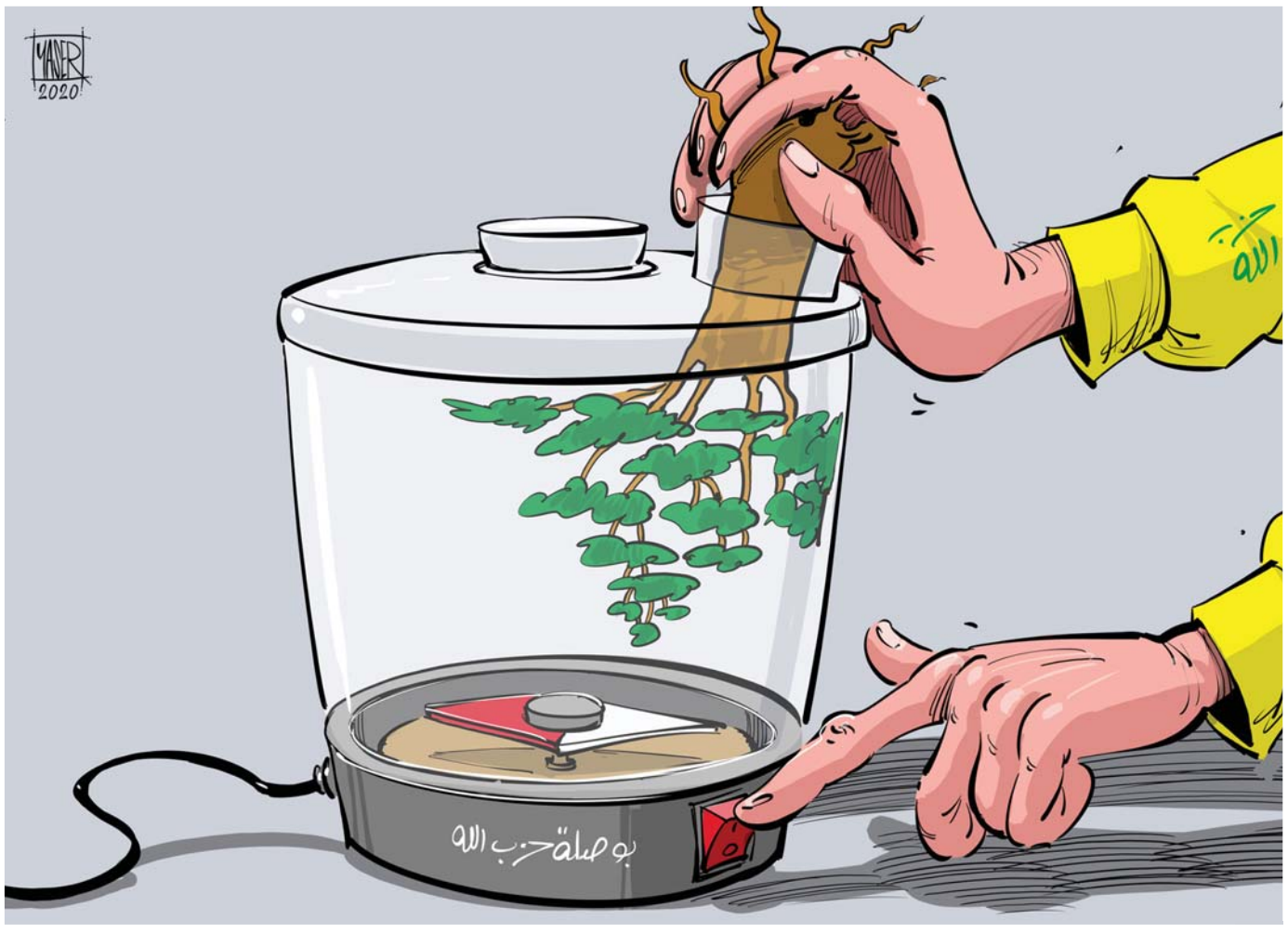

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

كيف يمكن تصديق أيّ كلمة قالها الأمين العام لـ"حزب الله" في لبنان حسن نصرالله في خطابه الأخير؟ كانت مناسبة الخطاب ذكرى مرور 14 عاما على نهاية حرب صيف العام 2006. راح يتحدّث في كلمته عن انتصارات تحققت على إسرائيل. في الواقع هناك انتصار وحيد تحقّق نتيجة حرب صيف 2006، هو انتصار "حزب الله"، أي إيران، على لبنان واللبنانيين.

شيئا فشيئا، تحوّل لبنان، بعد حرب 2006 إلى بلد بائس مغلوب على أمره في عزلة عربية ودولية وفي أزمة اقتصادية ليس أفضل ما يعبّر عنها أكثر من انهيار النظام المصرفي اللبناني واحتجاز أموال المودعين من لبنانيين وعرب وأجانب. إذا كانت كلّ الانتصارات من هذا النوع، فما الذي يمكن الحديث عنه عندما تكون هناك هزيمة، بكلام أوضح، ما هو المفهوم العلمي للهزيمة التي كان تفجير ميناء بيروت، بكل ما حمله من مآس، فصلا أخيرا متمّما لها؟

هناك لغتان تفسّران الحال التي بلغها لبنان. هناك لغة الواقع وهناك لغة الأرقام. بلغة الواقع، لو كان لبنان انتصر فعلا في حرب صيف 2006 التي افتعلها "حزب الله"، لما كان البلد في حال يرثى لها. هذا هو الواقع الذي يعيش فيه البلد. بعد 14 عاما على صدور القرار 1701 الصادر عن مجلس الأمن، لم يعرف لبنان كيف يستفيد من هذا القرار الذي يستند إلى قرارات سابقة بينها القرار 1559 للعام 2004 وهو قرار يعني بين ما يعنيه انسحاب كلّ القوات الأجنبية من لبنان وحلّ الميليشيا الوحيدة الباقية، أي "حزب الله".

بلغة الأرقام، فقد الاقتصاد اللبناني ما يزيد على نصف حجمه. الأهمّ من ذلك كلّه، أنّ الثقة العربية والعالمية بلبنان لم تعد موجودة. بيروت نفسها لم تعد موجودة. صمد لبنان طويلا في مواجهة ثقافة الموت التي سعت إلى القضاء عليه. صمد طويلا منذ العام 1969 تاريخ توقيع اتفاق القاهرة المشؤوم الذي أسّس لحرب 1975 ثم للحروب الأخرى التي لم ينهها الخروج العسكري الفلسطيني من لبنان... بل استمرّت مع حلول السلاح الإيراني مكان السلاح الفلسطيني برعاية النظام السوري.

بعد مضي 14 عاما على انتهاء حرب صيف 2006، التي كان الهدف منها خلق حدث كبير للتغطية على جريمة اغتيال رفيق الحريري ورفاقه والجرائم الأخرى التي طالت أشرف اللبنانيين، من سمير قصير إلى محمّد شطح، نجد لبنان في حال لا يحسد عليها.

يبدو مطلوبا من "حزب الله" تكريس هذه الحال التعيسة والمزرية التي أصبح فيها اللبنانيون فقراء. أصبح لبنان من دون مدارس. لم يعد هناك مستشفى لبناني يعمل على نحو طبيعي في ظلّ رئيس للجمهورية اسمه ميشال عون ليس معروفا هل هو على تماس مع ما يدور على أرض لبنان أم يعيش في عالم آخر.

عندما يشيد حسن نصرالله في خطابه بميشال عون ومواقفه، ليس معروفا بماذا يشيد في الواقع. هل هو يشيد برجل مستعد للوصول إلى رئاسة الجمهورية بأي ثمن كان، بما في ذلك تحالفه مع صدّام حسين في 1988 و1989 و1990 عندما رفض حافظ الأسد الموافقة على أن يكون رئيسا للجمهورية؟

بأيّ ميشال عون يشيد حسن نصرالله؟ هل يشيد بالدور الذي رُسم له كي يلعبه عندما ذهب إلى واشنطن وأقرّ الكونغرس قانون محاسبة سوريا في مرحلة ما بعد الاجتياح الأميركي للعراق؟

في كلّ الأحوال، هناك وضع لبناني جديد لا يجوز فيه الحديث عن عهد لم يعد له أي وجود. متى يتصالح حسن نصرالله مع الواقع ومع الأرقام؟ هذا هو السؤال الكبير الذي يستتبعه سؤال أكثر أهمّية منه هو هل يمتلك "حزب الله" حرّية السير في سياسة لبنانية على علاقة بهموم اللبنانيين وتطلعاتهم. إن اللبنانيين من كلّ الطوائف والمذاهب والمناطق يطالبون، في معظمهم، بالتصالح مع الواقع والأرقام. ليس كافيا تهديد اللبنانيين بـ"الغضب" كي يتذكّروا غزوة بيروت والجبل في أيّار – مايو 2008.

كانت تلك الغزوة التي استهدفت أهل بيروت والجبل بغطاء من ميشال عون وجماعته حلقة في الانقلاب الذي توّج في 31 تشرين الأوّل – أكتوبر 2016 بانتخاب مجلس النوّاب لميشال عون رئيسا للجمهورية. كان ميشال عون نفسه يصف هذا المجلس المنتخب في العام 2009 بأنه "غير شرعي". صار هذا المجلس شرعيا بين ليلة وضحاها بمجرّد انّه انتخب ميشال عون رئيسا للجمهورية!

من حقّ اللبنانيين سؤال حسن نصرالله عن هدف "حزب الله" من وراء تمسّكه بسلاحه، خصوصا أنّ التفجير الذي حصل في ميناء بيروت كشف أنّ هذا السلاح لم يستخدم سوى لتغطية الفساد في لبنان. ليس ضروريا أن يكون "حزب الله" يخزّن سلاحا في عنابر ميناء بيروت الذي يستطيع أن يفعل فيه ما يشاء، كما يعرف كلّ تفصيل من التفاصيل المتعلّقة بسير العمل فيه. لكنّ الضروري أن يعتذر الحزب من اللبنانيين لأنّ سلاحه تولّى تغطية سلطة فاسدة. من ثمار الفساد وصول حسّان دياب إلى موقع رئيس مجلس الوزراء.

في النهاية، لا تفيد المكابرة في شيء. عندما يصل لبنان إلى ما وصل إليه في "عهد حزب الله" و"حكومة حزب الله"، لا مجال للكلام عن أي انتصارات من أي نوع. هناك انتصار واحد حققه "حزب الله" هو الانتصار على لبنان وعلى ثقافة الحياة فيه... وهناك هزائم على مدّ العين والنظر في غياب رؤية واضحة لما يريده "حزب الله" غير رؤية إيران التي تعتبر لبنان مجرّد "ساحة".

في غياب أيّ قدرة على كسر طوق الهيمنة الإيرانية، لا مجال لأيّ مصالحة بين حسن نصرالله من جهة والواقع والأرقام من جهة أخرى. في غياب مثل هذه المصالحة، التي تعني أوّلا أن الانتصار على لبنان ليس انتصارا على إسرائيل، ليس أمام اللبنانيين سوى الرهان على الوقت وعلى ما طرحه البطريرك الماروني بشارة الراعي عن "الحياد النشط".

ما طرحه الراعي ليس من بنات أفكاره، خصوصا أنّه معروف كيف أصبح المطران الراعي بطريركا، بمقدار ما أنّه محاولة أخيرة من المجتمع الدولي لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من لبنان. أنّه لبنان، البلد العربي المتعدد الطوائف والمنفتح على العالم، الذي يتعرّض لضغوط من أجل تحوّله إلى مجرد أداة إيرانية في "عهد حزب الله" و"حكومة حزب الله" المستقيلة، وهي حكومة حققت إنجازا واحدا هو تتفيه التفاهة ولا شيء آخر غير ذلك. هذا إنجاز في حدّ ذاته...

رحلة الكاظمي إلى ماما أميركا

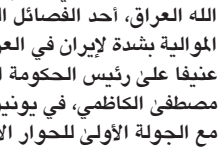

د. باهرة الشيخلي
كاتبة عراقية

منذ أن شنّ أبوعلي العسكري، المتحدث الأمني باسم كتائب حزب الله العراق، أحد الفصائل العسكرية الموالية بشدة لإيران في العراق، هجوما عنيفا على رئيس الحكومة العراقية مصطفى الكاظمي، في يونيو الماضي، مع الجولة الأولى للحوار الاستراتيجي مع واشنطن، التي جرت في بغداد، واصفا إياه بعميل الأميركيين و"المسخ الغادر".

وهدد العسكري رئيس الحكومة بالعقاب و"العذاب"، قائلا "نتربص لكم"، والشارع العراقي متخوف من انقلاب عسكري تنفذه الميليشيات ضد حكومة الكاظمي، وتزداد هذه المخاوف مع مغادرة الكاظمي إلى واشنطن في العشرين من الشهر الحالي لإجراء الجولة الثانية من الحوار الاستراتيجي مع واشنطن.

ومنذ أن استعرضت الميليشيات الموالية لإيران، في يونيو الماضي، عضلاتها في بغداد لإظهار أنها الأقوى في البلاد، يعيش العراقيون حالة من الترقّب وشدّ الأعصاب، وحبس الأنفاس، وأحس الجميع بأنهم يعيشون في شريعة الغاب ليس إلا.

فمواجهة هذه الأزمة المستعصية تهدد بهدم أركان الدولة العراقية، التي وعد الكاظمي بإعادة الهيبة إليها، وسط أزمات خانقة يعيشها الوضع العراقي، مثل جائحة كورونا، تغوّل الأحزاب السياسية وفسادها، الأزمة الاقتصادية، لجوء الحكومة إلى القروض، تعثر معاشات المتقاعدين، هيمنة الأحزاب على واردات المعابر الحدودية، وتهريب النفط من كردستان بصفة غير شرعية، وغيرها من الأزمات، التي تفتح أبواب العراق على جميع الاحتمالات، كما يقول الكاتب والروائي العراقي شاكر نوري.

طمأنت حكومة الكاظمي الأميركيين إلى أنها ستجرد الميليشيات من سلاحها الدموي، لكن الصراع الأميركي مع إيران يخلط الأوراق، لذا وجدت حكومة الكاظمي نفسها بين السندان الأميركي والمطرقة الإيرانية.

ولعل هذا ما أشار إليه وزير الكهرباء الأسبق أيهم السامرائي، وهو مواطن أميركي، عندما قال، في حديث مطول معي، سيطالب الأميركيون في الجولة الثانية من الحوار بإنهاء رجال النظام القائم في العراق بالكامل، وسيضعون الكاظمي أمام خيار أن يذهب معهم أو أن يكون مع ثوار تشرين ومطالبهم، وإذا ما تعاون الكاظمي مع الأميركيين فستكون إيران الخاسر الأكبر في هذا اللقاء وأي لقاء أميركي عراقي أو عراقي عربي.

وكما يرى السامرائي، فإن العراق سيربح من اللقاء إعادة السيادة وحل الميليشيات وتسليم السلاح للدولة وإعادة الأمن الداخلي، والانفتاح على المتظاهرين والبدء باللقاءات الجدية معهم لتحقيق مطالبهم المعقولة والمسايرة مع ما تريده أميركا والمجتمع الدولي الآن.

وهذا يعني أن اللقاء سيكرس استمرار الوجود الأميركي في العراق، الذي قد يتخلص من نفوذ إيراني ليقع في نفوذ أميركي، فأميركا لا يمكن أن تتخلى عن دورها في العراق بوصفه إحدى منصات إدارة الصراع في منطقة الخليج العربي، وفي الإقليم كله.

ولكي يُفهم الأميركيون الكاظمي أنهم جادون في محاربة النفوذ الإيراني في العراق فإنهم سيستصدرون، قبل وصول الكاظمي إلى واشنطن، قرارا ضد حزب الله اللبناني من مجلس الأمن، لإشعاره أن العراق سيكون الصفحة المقبلة، بعد أفغانستان ولبنان.

لكن الميليشيات، المدعومة من إيران، لم تفتأ تفعل كل ما بوسعها لتغييب الدولة، والاستهانة بها، وإضعافها، لتكون في قبضتها، وقد شهدت الساحة العراقية، منذ أواخر فبراير الماضي، ولادة ثلاث ميليشيات مسلحة جديدة، هي "أصحاب الكهف"، و"قبضة المهدي"، و"عصبة الثائرين"، والأخيرة أكثرها فاعلية، من خلال بيانات وتسجيلات مصورة، هددت فيها القوات الأميركية في العراق، وهاجمت أيضا كتلا سياسية مختلفة، بسبب مواقفها من أزمة تشكيل الحكومة واختيار رئيس الوزراء.

وقد تولت الفصائل الثلاثة، الإعلان عن نفسها، بصفة مغايرة لجميع الميليشيات الأخرى، التي عرفها العراق خلال السنوات الماضية، إذ لا يُعرف لها قائد ولا متحدث ولا حتى خلفية تاريخية لولادتها، وقد بدت متشابهة في خطابها السياسي والعقائدي مع ميليشيات موجودة، عادة ما تُصنف تحت عبارة "الولائية"، في إشارة إلى ارتباطها العقائدي والفكري بالمرشد الإيراني علي خامنئي وليس بالنجف.

ارتفع منسوب الهجمات العسكرية ضد القوات الأميركية في العراق، وذلك تزامنا مع استعدادات رئيس الحكومة مصطفى الكاظمي لإجراء زيارته التفاوضية الأولى إلى الولايات المتحدة في 20 أغسطس الحالي، لخوض الجولة الثانية من الحوار الاستراتيجي مع واشنطن، إذ خلال شهر واحد فقط، سُجلت خمس هجمات ضد الوجود الأميركي في العراق، كان آخرها انفجار عبوة ناسفة، استهدفت رتلا عسكريا قرب قاعدة التاجي شمالي بغداد، مما أثار تساؤلات عن الرسائل المراد إيصالها، من خلال هذه الضربات، قبل لقاء الكاظمي مع ترامب.

وهذه كلها إفرازات تنذر بفوضى، وتؤكد صورية القرارات الحكومية الأخيرة بشأن تنظيم عمل الفصائل المسلحة تحت مظلة الحشد الشعبي، وتعزيز مخاوف العراقيين بأن الميليشيات تخطط لانقلاب ضد حكومة الكاظمي، وإدخال البلد في فوضى أخرى غير مسبوقة.

يلفت الدكتور ريمون جورج، سكرتير جمعية الصداقة العراقية الأميركية، في حديثه معي إلى تأخر إعلان أسماء أعضاء الوفد العراقي، الذي سيشارك في الحوار، متذرعا بأن الكاظمي يواجه معضلة في اختيار الشخصيات المرافقة له بسبب ضغط شديد يواجهه من الكتل السياسية وميليشياتها المدعومة إيرانيا، والتي تريد زج أكثر من وكيل لطهران في هذا الوفد لتكون على دراية كاملة وتأثير في مجريات الحوار ونقاشاته ومخرجاته واشتراطها أن تكون إحدى نتائج هذا الحوار إخراج القوات الأجنبية (الأميركية) من العراق.

يسود اعتقاد في الشارع العراقي، الآن، أن هذا اللقاء، إذا انتهى من دون الإشارة إلى خروج القوات الأميركية من العراق سيكون مؤشرا على ضعف تأثير إيران وعملائها وحافزا للإدارة الأميركية في استمرار دعمها للكاظمي والوقوف إلى جانبه ليتمكن من التهيئة لمستلزمات إجراء الانتخابات المبكرة المقبلة.

إلا أن كثيرين يقطعون أن هذا اللقاء لن يكون أكثر من عنوان، أما المضمون والنتائج فقد أعدتهما واشنطن سلفا، وأن المسرحية السياسية ستجري، بتمام فصولها الدبلوماسية، وأن مستوطني المستعمرة الخضراء الجهلة، وكما جرت عادتهم، وقبيل عودتهم بربع ساعة، سيضعون خلاصة بنتائج المفاوضات، ولن تسفر المفاوضات عن جديد سوى موضوع تأكيد أهمية تجديد أو استمرار الاتفاق الأمني بين البلدين، وإشارة إلى وضع حد للنفوذ الإيراني، ولن يستولد الحوار إلا فأرا.

ومهما أسفر الحوار عن نتائج فإن الأهم أن تضع الثورة الشبابية في العراق أفقا استراتيجيا لحراكها السلمي وأن تعدّ مشروعا لإجراء محاكمة شعبية لمحاسبة القتلة واللصوص، بالتنسيق مع مركز جنيف الدولي للعدالة، فالشباب هم ممثلو العراق، الآن، إلا أن حراكهم لم يفرز، إلى الآن، قيادة يمكن أن تمثلهم، رغم أن قوة الحراك السلمي أنه متحرر من أي سلطة (حزبية)، لكنه يحتاج إلى خارطة أهداف.

المنتمون إلى الطبقة السياسية ومن ضمنهم الكاظمي ينطلقون من مصلحتهم الشخصية ولا أثر لمساع تبذل من أجل العراق، والكاظمي لن يذهب إلى واشنطن لمفاوضات وإنما لسماع إملاءات من الجانب الأميركي

النقطة الأكثر أهمية في هذا، أن كل المنتمين إلى الطبقة السياسية، التي جاءت، برفقة عربة الاحتلال، ومنهم مصطفى الكاظمي، ينطلقون جميعا من مصلحتهم الشخصية أولا وتاليا، ولا أثر لمساع يبذلونها من أجل العراق، ولذلك فإن الكاظمي لن يذهب إلى واشنطن لمفاوضات أو حوار، وإنما لسماع إملاءات من الجانب الأميركي، وهذا ما لم يقله أحد، صراحة.